

يَسُوعُ، الْمُعَلِّمُ الْأَعْظَمُ



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: عبرانيين ١: ١-٤؛ ٢ كورنثوس ٤: ١-٦؛ يوحنا ١: ١٤، ١٨؛ ١٤: ١٤-١؛ فيلبي ٢: ١-١١؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٦-٢١.

آية الحفظ: «لأنَّ الله الَّذِي قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢ كورنثوس ٤: ٦).

يحكي بيلى كراهام القصة عندما قام بزيارة جنود في مستشفى ميداني وكانوا برفقة قائد الجيش. أحد الجنود الشبان «كان مشوّهاً جداً لدرجة أنه تمدّد ووجهه لأسفل، على لوح مصنوع من قماش القنب الشفاف». همس الطبيب لكراهام قائلاً، «أشكّ في أنه سوف يكون قادراً على المشي مجدداً». تقدّم الجندي بطلب من قائد الجيش قائلاً: «سيدي، ... لقد حاربت من أجلك، لكنني لم أرك أبداً. هل يمكنني أن أرى وجهك؟» لذلك، تمدد قائد الجيش على الأرض وانزلق أسفل اللوح الشفاف مصنوع من قماش القنب، وتحدث مع الجندي. وإذا كان كراهام يراقب ما يحدث، سقطت دمعة من عين الجندي على خد قائد الجيش.

في زمن ولادة يسوع، كانت البشرية ترزح مشوّهة نازفةً، في حاجة إلى نظرة الله الشافية. يبدو الأمر كما لو أنّ الجنس البشري قد تضرّع قائلاً، «يا الله، هل يمكننا رؤية وجهك؟» ومن خلال إرسال ابنه إلى هذا الكوكب، أرسل الأب المعلم الأعظم في مهمة: أن يُظهر للجنس البشري وجه الأب. منذ ذلك الحين، كان لدينا الامتياز المدهش المتمثل في رؤية «معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢ كورنثوس ٤: ٦). إذ نشاهد المعلم الأعظم وهو يشق طريقه إلى الأرض، ماذا يمكننا أن نتعلم منه؟

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٣١ تشرين الأول (أكتوبر).

يسوع يعلن لنا الآب

ما هي أهم النقاط المتعلقة بيسوع والتي يشير إليها الرسول بولس في بداية رسالته إلى العبرانيين؟ (عبرانيين ١: ١-٤).

يؤكد كُتّبة أسفار العهد الجديد مرارًا وتكرارًا على فكرة مهمة: جاء يسوع إلى الأرض ليُظهر للبشرية مَنْ هو الآب. في الأزمنة الماضية، جاء إعلان الله بطريقة مجرأة عَبَرَ الأنبياء؛ مع ذلك، فقد رأينا في يسوع الإعلان النهائي والثام لله. أيضًا، يسوع، في شخصه، «هُوَ بَهَاءُ مَجْدِ [الله]» (عبرانيين ١: ٣). وكبشر آتمين، نحن لا يمكننا معاينة مجد الله بشكل كامل. وباعتباره الابن المتجسد، يعكس يسوع هذا المجد. فَإِنَّ هذا المجد وَادِعٌ وَسَاكِنٌ في بشرية المسيح كي نراه، وكي نُمَيِّزَ بوضوح جوهر وحقيقة الله. المسيح هو أيضًا «رَسْمٌ جَوْهَرِ [الله]» (عبرانيين ١: ٣). في اللغة اليونانية، المصطلح المستخدم هنا أحيانًا يُستخدم للإشارة إلى الأثر الذي يحدثه الختم في الشمع، أو الصورة المدموغة على عملة معدنية. لذلك فَإِنَّ يسوع هو «رَسْمٌ جَوْهَرِ [الله]» (عبرانيين ١: ٣). إذا كنا نرغب في معرفة الآب، يجب أن نصغي بعناية لما يقوله المُعَلِّمُ الأَعْظَمُ عنه. ويجب علينا أيضًا أن ننظر إلى المُعَلِّمِ الأَعْظَمِ. فَإِنَّ الآبَ يُرَى في الابن.

قارن عبرانيين ١: ١-٤ مع ٢ كورنثوس ٤: ٦-١. في ٢ كورنثوس ٤: ٦-١، مَنْ هو يسوع، وما الذي نتعلّمه مِنْهُ؟

بينما كانوا يُعلِّمون الآخرين عن الله، سعى بولس ورفقاؤه في الخدمة إلى تَبَنِّي تعاليم المسيح نفسه عن الآب. وباعتباره «صُورَةَ اللهِ» (٢ كورنثوس ٤: ٤)، علّمنا يسوع عن الله الآب. وعلى نحو مماثل، يرفض بولس أن تتعرض كلمة الله للتدنيس والتشويه، ويقوم بدلاً مِنْ ذلك بِإِظْهَارِ الحَقِّ بِجَلَاءٍ (٢ كورنثوس ٤: ٢). وكما استخدم الله، في الخَلْق، النور لتبديد الظلام، فقط أعطانا ابنه، يسوع، لتبديد وجهات النظر الكاذبة عنه، وإظهار الحقيقة عن الله. إِنَّهُ «فِي وَجْهِ يَسُوعِ الْمَسِيحِ» أَنَّنَا نحصل على أَوْضَحَ مَعْرِفَةٍ لِه. (٢ كورنثوس ٤: ٦).

عمل يسوع على عكس صورة الآب بدقة، وهو شيء نحن أيضًا مطالبون بعمله لأننا مدعوون إلى أَنْ نكون «مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ» (أفسس ٥: ١). ماذا يعني هذا، وما الذي يمكن أَنْ نتعلّمه مِنْ يسوع حول كيف نكون «مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ»؟

إعلان الآب (تتمة)

في مقدمة مؤثِّرة لإنجيله (يوحنا ١: ١-١٨)، يتحدث يوحنا عن يسوع باعتباره «الكلمة الأبدية». إِنَّ حُجَجَ يوحنا عن يسوع ليست متوارية أو محدودة؛ بل هي جريئة وكونية في نطاقها. كان يسوع موجوداً قبل تأسيس العالم - فِي الْوَاقِعِ، إِنَّ يَسُوعَ أَزَلِي الْوُجُودِ. في الحقيقة، يسوع كان هو العامل الوسيط في الْخَلْقِ (يوحنا ١: ٢، ٣). هو «نُورِ النَّاسِ» (يوحنا ١: ٩)، وبما أنه «الكلمة» الذي أتى إلى العالم، فهو «الَّذِي يُبِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ» (يوحنا ١: ٩).

وفقاً ليوحنا، ما هي نتيجة تجسّد يسوع؟ باعتباره الكلمة، ما هو النور الذي أتى به يسوع؟ ما هي المؤهلات التي يملكها للقيام بذلك؟ يوحنا ١: ١٤، ١٨.

«وقد ظهر النور عندما كانت ظلمة العالم على أشدها. ...
 » ولم يبق للبشرية غير رجاء واحد - وهو أن تعود إلى العالم معرفة الله.
 » وقد جاء المسيح ليعيد هذه المعرفة. جاء ليلقي جانباً التعلّم الكاذب الذي بواسطته شوّه صورة الله أولئك الذين ادّعوا أنهم يعرفونه. جاء ليظهر طبيعة شريعته وليعلن في صفاته جمال القداسة» (روح النبوة، التّربية الحقيقية، صفحة ٦٨-٨٩).
 كل شيء قام به المسيح في حياته على الأرض كان له هدف واحد: «إعلان الله لأجل رفع شأن البشرية» (روح النبوة، التّربية الحقيقية، صفحة ٩٦).

يسوع نفسه يقول، «الَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ» (يوحنا ١٤: ٩). ماذا كان سياق كلام يسوع هنا؟ ولماذا صرّح بذلك؟ يوحنا ١٤: ١-١٤.

يميل المرء إلى انتقاد العبارة المتخبطة التي أدلى بها فيلبس (يوحنا ١٤: ٨). فبعد سنوات من شركته الوثيقة مع يسوع، كان فيلبس لا يزال غير مدرك للنقطة الهامة المتعلقة بالتجسّد، وهي أنّ يسوع قد أتى ليُظهر طبيعة وصفات الآب. ربما يمكن للمُعَلِّمِينَ اليوم أن يشعروا ببعض الرّاحة في حقيقة أنّ أحد تلاميذ المُعَلِّمِ الْأَعْظَمِ قد تصرّف بشكل سيئ، ومن ثم يجدون ما ينتقدونه في ذلك التلميذ! لكن ربما دُوّنت عبارة فيلبس لا لتعطينا سبباً لانتقاده بل لمنحنا الفرصة لفحص أنفسنا. منذ متى ونحن نسير مع يسوع؟ وهل عرفنا يسوع بشكل أفضل من فيلبس؟ فإنّ يسوع يقول لنا نحن أيضاً، «الَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ» ، فما هو موقفنا!

قراءة ذهن المُعَلِّمِ الأعْظَمِ

ما الذي كان يشغل فكر بولس ويثقل قلبه بشأن المجتمع المسيحي في فيلبي بينما كان يكتب رسالته إليهم؟ فيلبي ٢: ١-٤؛ فيلبي ٢: ٣.

الفقرة الكتابية في فيلبي ٢: ١-١١ هي من إحدى أعمق الفقرات في الكتاب المقدس. إنها تناقش الوجود الأزلي ليسوع، ألوهيته، تجسده، بشريته، وقبوله الموت على الصليب. وهي تصف الطريق الطويل والصعب والسحيق الذي سلكه يسوع من السماء إلى جُلُجَّة (فيلبي ٢: ٥-٨). وهي تصف كيف رَفَعَ الأب يسوع «وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» لِكَيْ يَجْتُو أمامه الجميع (فيلبي ٢: ٩-١١). إِنَّ الكثير من الحقائق المذهلة مُكَدَّس في تلك الآيات.

كيف يعرض بولس ما جاء في فيلبي ٢: ٥-١١؟ من بين أحداث حياة يسوع التي أشاد بها بولس، أي منها في اعتقادك يتطلع بولس إلى أن يعكسها المؤمنون في حياتهم؟ فيلبي ٢: ٦-١١.

كان بولس يأمل في أن يتعلم المؤمنون في فيلبي، الذين يمكن وصفهم بأنهم كانوا «مُثِيرين لِلجَدَل»، من يسوع ومن تجسده. فإذا كان بإمكان يسوع أن يأخذ هيئة بشرية — «أَخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ» (فيلبي ٢: ٧) — بل ويخضع لدرجة أن يُرْفَعَ على الصليب، فكم بالحري ينبغي أن يخضعوا لبعضهم البعض أكثر، بدافع المحبة؟

يتم تذكيرنا بأن هناك الكثير لتتعلمه من المُعَلِّمِ الأعْظَمِ، يسوع. نحن نتعلم من الرسائل التي شاركها معنا المُعَلِّمِ الأعْظَمِ أثناء خدمته الأرضية. نتعلم من المعجزات التي أجراها، والطريقة التي تعامل بها مع الآخرين. وقد نسعى إلى جعل تعاملاتنا مع الآخرين تحاكي تحنُّنه العظيم، ونتعلم كذلك من خلال التمعُّن في استعداده لاستبدال أمجاد السماء بمذود (يا له من درس لنا!).

على النقيض من ذلك، فإنَّ العالم في كثير من الأحيان يدعونا إلى تمجيد أنفسنا، لللباهي بإنجازاتنا. أما في المذود في بيت لحم، ومن المُعَلِّمِ الأعْظَمِ، فإننا نتعلم درسًا مختلفًا — إِنَّ عَمَلَا التَّعْلِيمِ والخلاص العظيمين لا يتحققان من خلال تمجيد أنفسنا بل بتذليل ذواتنا أمام الله، وبأن نصبح خَدَامًا للآخرين.

ما هو الظرف الذي تواجهه، ربما الآن، والذي يمكن له من خلال تواضعك، أن يتيح لك فرصة كبيرة لتعكس المسيح للآخرين؟

المُعَلِّمُ الأعْظَمُ والمُصَالِحَةُ

العلاقات الإنسانية في كثير من الأحيان تنهار. أصبحنا متباعدين عن بعضنا بعضًا. فالشخص الذي كان ذات مرة صديقنا المُقرب أصبح بمرور الوقت شخصًا لا نثق به. ومع ذلك يمكن تصحيح هذه العلاقة. وعندما يحدث ذلك، نختبر روعة المُصَالِحَةِ. القليل من الاختبارات البشرية هي بمثل هذا الجمال.

كيف تأتي المُصَالِحَةُ في مركز القصد وراء تجسّد المسيح ودوره باعتباره المُعَلِّمُ الأعْظَمُ؟ ٢ كورنثوس ٥: ١٦-٢١.

إذا كنا نشعر بالسعادة عند استعادة علاقتنا مع شخص آخر، فما مدى ما ينبغي أن تكون عليه سعادتنا عندما نتصالح مع الله؟ في ٢ كورنثوس ٥: ١٦-٢١، نجد أن بولس واضح جدًا بشأن مَنْ يقوم بالمصالحة - لقد أخذ الله الأب زمام المبادرة في إصلاح علاقتنا المقطوعة معه. وقد قام بهذا العمل التصالحي «بِيسوع المسيح» (٢ كورنثوس ٥: ١٨). «إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ» (٢ كورنثوس ٥: ١٩). مرة أخرى نؤكد أننا لسنا مجرد مُسْتَهْلِكِينَ لِبَرَكَاتِ المُصَالِحَةِ، بل علينا أن نتعلم من المُعَلِّمِ الأعْظَمِ. ففي تجسّده، شارك المسيح في عمل المُصَالِحَةِ. ونحن أيضًا مدعوون للمشاركة فيها. لقد صالحنا الله إلى نفسه بالمسيح يسوع. والآن، نحن مع بولس، قد أعطينا «خِدْمَةَ المُصَالِحَةِ» (٢ كورنثوس ٥: ١٨).

الفقرة الكتابية في كولوسي ١: ٥-٢٠ هي أيضًا إحدى أعظم فقرات العهد الجديد التي تتحدث عن تجسّد يسوع. غالبًا ما يُعْتَقَدُ أَنَّ هذه الفقرة هي عبارة عن ترنيمة، يناقش النصف الأول من الفقرة دور يسوع في الخَلْقِ (كولوسي ١: ١٥-١٧)، في حين يركّز النصف الأخير على دور يسوع في الفِدَاءِ (كولوسي ١: ١٨-٢٠). من خلال دور يسوع كخالق، صالح الله كل شيء إلى نفسه. إن عمل المصالحة الذي ينجزه الله من خلال يسوع هو كوني في نطاقه، وهو «يُصَالِحُ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ» (كولوسي ١: ٢٠).

في حين أننا لا يمكن أن نصل إلى المقياس الكوني لعمل المُعَلِّمِ الأعْظَمِ كُصَالِحِ، فإننا مدعوون للمشاركة في «خدمة المصالحة» في نطاقنا (٢ كورنثوس ٥: ١٨). هل يمكن أن يكون هذا هو ما كان يدور في فكر يسوع عندما صلى، «كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتَهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ١٨).

ما هي الطرق العملية التي يمكننا من خلالها أن نعكس دور الله كُصَالِحِ؟ بمعنى، في أي موقف الآن (إِنْ وُجِدَ) يمكنك أن تساعد الناس على التّصَالِحِ مع بعضهم البعض؟

تلاميذ المُعَلِّمِ الأعظمِ الأولون

في لحظة، نجد مجموعة من الرعاة العاديين يعتنون بقطيع متوسط الحجم من الأغنام خارج بلدة صغيرة. وفي اللحظة التالية، يشهدون ظهوراً باهراً لملائكة يُشاركون معهم أخباراً مذهلة ورائعة ومدهشة. وقد دفعهم هذا المنظر إلى السعي في البحث عن الطفل الذي أعلنت عنه الملائكة.

تخيل نفسك واقفاً مع الرعاة ومُحدِّثاً في المِدْوَد. ماذا ترى؟ لوقا ٢: ٨-٢٠.

ينبغي أن نُؤلِّي تقديرنا لتلاميذ المُعَلِّمِ الأعظمِ الأولين: يوسف ومريم والرعاة. فإنَّ الظروف المتواضعة لميلاد يسوع لم تُعطِ إشارة إلى معجزة التجسّد العجيبة التي من خلالها صار الله، في شخص هذا الرضيع، واحداً مع البشر. مع ذلك، فإنه وبمساعدة الرؤى والأحلام والملائكة، أمكن لأولئك التلاميذ الأولين أن ينظروا إلى ما وراء المظهر الخارجي لميلاد يسوع. شارك الرعاة مع الآخرين من هو هذا الطفل الرضيع، وأقرّوا بأنه «مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لوقا ٢: ١١؛ قارن لوقا ٢: ١٧).

كيف كانت ردّة فعل المجوس تجاه أخبار ولادة يسوع؟ وكيف كانت ردّة فعل هيرودس إزاء ذلك؟ متى ٢: ١-١٢.

إنَّه حتّى قَبَلَ أَنْ يَنْطِقَ المُعَلِّمِ الأعظمِ بأوّلِ مَثَلٍ له أو إجراء أوّلَى مُعْجَزَاتِهِ، فإنَّه مستحقٌّ لعبادتنا لأنَّه الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. ولكي نُقدِّر تقديراً كاملاً خدمة المسيح التربوية اللاحقة، يجب أن ننضم إلى أولئك التلاميذ الأولين، المجوس، في عبادتهم للمُعَلِّمِ الأعظم. إنَّ الذي نُعجب بتعاليمه ونقدِّرها هو أكثر من مجرد مُعَلِّمِ حَكِيمٍ. إنَّه اللهُ الذي أتى ليسكن مع البشر. إنَّ التَّعْلِيمَ المسيحي متجدِّد في تقديم السجود للمسيح. مع المجوس والرعاة والملائكة، نحن مدعوون إلى عبادة السَّيِّدِ يسوع المسيح، الملك المولود، وأن نرى في الطفل الرضيع يسوع المسيح، اللهُ المتجسّد نفسه.

فكر فيما يعنيه تجسّد يسوع، فيما يتعلق بشخص الله. فخالق كل الكون، هذا الكون الشَّاسِعُ جدّاً لدرجة أننا لا نستطيع استيعابه - هذا الإله «وَضَعَ نَفْسَهُ» بأن أتى إلى البشرية، في شخص يسوع المسيح الذي عاش في الهيئة كإنسان ومات على الصليب حاملاً على نفسه عقوبة خطايانا. لماذا يُعد ذلك أخباراً سارة للغاية؟

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة، من كتاب التَّربِيَّة الحَقِيقِيَّة، الفصل الذي بعنوان «المُعَلِّمُ المُرْسَلُ من الله»، صفحة ٨٥-٩٧.

«وفي المُعَلِّمُ المرسل من الله يتركز كلَّ عمل تربوي حقيقي. إنَّ المخلَّص يتحدث عن هذا العمل اليوم بكلِّ يقين كما قد تحدَّث عن العمل الذي أتمه منذ أكثر من ثمانية عشر قرناً. ويقول: 'أنا هو الأوَّل والآخِر والحي'، 'أنا هو الألف والياء البداية والنَّهاية' (رؤيا ١: ١٧، ١٨؛ راجع رؤيا ٢١: ٦).

«ففي حضرة مثل هذا المُعَلِّمُ، ومثل هذه الفرصة للتَّربِيَّة الإلهيَّة فأبغى غباء أردأ من أن يحاول الإنسان الحصول على تربية بعيداً عنه، وأن يحاول أن يكون حكيماً بعيداً عن الحكمة. وأن تكون صادقاً في حين أنك ترفض الصِّدق، وأن تطلب الاستنارة بعيداً عن النُّور، والوُجُود بدون الحياة، وأن تنصرف عن نبع المياه الحيَّة وتنقر لنفسك آباراً مشققة لا تضبط ماء.

«ها هو لايزال يدعو: 'إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي.' «الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» يوحنا ٧: ٣٧، ٣٨ - ٤: ١٤» (التَّربِيَّة الحَقِيقِيَّة، صفحة ٩٧).

«فيا أيها المُعَلِّمُ العزيز: عندما تفكّر في حاجتك إلى القوَّة والإرشاد - تلك الحاجة التي لا يمكن لمصدر بشري أن يسدها - فأنا أشير عليك بأن تفكّر في مواعيد ذاك الذي هو العجيب المشير. فهو يقول: 'هأنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يغلقه' (رؤيا ٣: ٨). «ادعني فأجيبك»، «أعلمك وأرشدك الطَّريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (إرميا ٣: ٣٣، ٣٤). «ها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ٢٠). «إني أوجهك إلى أقوال وحياة وأساليب معلِّم المُعَلِّمين كأسمى إعداد لعملك. وأنا أريدك وأشير عليك بأن تلاحظه. فهنا مثالك الحقيقي. انظر إليه وتأمل فيه حتى يسيطر على قلبك وحياتك روح المُعَلِّم الإلهي. فإذا تكون: ناظرًا مُجد... [الله] بوجه مكشوف، تتغيَّر إلى تلك الصُّورة عينها» (٢ كورنثوس ٣: ١٨). هذا هو السَّر في قوَّتكَ على تلاميذك. انظر إليه واعكس مجده» (روح النبوة، التَّربِيَّة الحَقِيقِيَّة، صفحة ٣٣٠، ٣٣١).

أسئلة للنقاش:

١. ما هي القِيَم والتَّدابير التي ستكون مهمة للمعلمين والطلاب المسيحيين الذين يأخذون بجديّة فكرة التعلّم من تجسّد المُعَلِّمِ الأعظَم؟
٢. أمام الآباء والمُعَلِّمين المسيحيين معيار سَنِيٍّ ليلبغوه - أن يعكسوا صفات الله، كما هي مُعلنة في المسيح المتجسّد. ما الذي يجب أن نفعله عندما نُقَصِّر في عكس هذا المعيار العالي؟
٣. في الصِّف، ناقشوا السُّؤال الوارد بنهاية درس يوم الخميس؟ ماذا يعلِّمنا ميلاد وحياة وموت يسوع عن ذات الله وصفاته؟ لماذا يجب أن يكون هذا مصدر تشجيع لنا، خاصة في أوقات التجربة الشديدة؟